

السؤال

أنا مسلم أوؤمن بأن الله هو وحده من يعلم الغيب ، وهو وحده من بيده شفاء المرضى ، وهذه هي المفاهيم التي أدعوا الناس إليها، أي أنني أدعوهم الى التوحيد المستند على الدليل من الكتاب والسنة بما آتني الله من علم . غير أن أحد الأشخاص قام فأرسل لي حديثا ينفي به اختصاص الله بشفاء المرضى : عن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر وكان خال ولد عطاء قال : " أرسلتني أسماء إلى عبد الله بن عمر فقالت : بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة العلم في الثوب ، وميثرة الأرجوان وصوم رجب كله ، فقال لي عبد الله : أما ما ذكرت من رجب فكيف بمن يصوم الأبد ، وأما ما ذكرت من العلم في الثوب ، فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما يلبس الحرير من لا خلاق له فخفت أن يكون العلم منه ، وأما ميثرة الأرجوان فهذه ميثرة عبد الله فإذا هي أرجوان ، فرجعت إلى أسماء فخبرتها ، فقالت : هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيتها مكفوفين بالديباج فقالت : هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها " . رواه مسلم ، الكتاب 24 ، حديث رقم 5149 . فأرجو توضيح هذه المسألة ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى مسلم (2069) عن أسماء رضي الله عنها قالت :

" هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْرَجْتُ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كَسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا لِبْنَةٌ دِيْبَاجٍ ، وَفَرَجِيَّتُهَا مَكْفُوفِينَ بِالْدِيْبَاجِ ، فَقَالَتْ: هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبِضْتُهَا ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبِسُهَا ، فَحَنُّ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا " .

وليس في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشفي المرضى ؛ فإن ذلك كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن فيه أن الله تعالى جعل في آثاره صلى الله عليه وسلم كتوبه وطعامه وشرابه وشعره وماء وضوئه وبصاقه : الشفاء والبركة ، وهذا القدر حق ثابت ، لا ريب فيه ، وهذا مما خصه الله به دون غيره ، ولا غرابة في ذلك ، فكما أن الله جعل الشفاء في الدواء يتناوله المريض فيشفى بإذن الله ، فكذلك جعل آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورة : أسبابا للشفاء ، بإذن الله ؛ فكأنها تفعل ما يفعل الدواء الحسي ، وتقوم مقامه ؛ فهي سبب حسي ، ظاهر ، جعله الله سببا لذلك ، كرامة لرسوله

صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم في جواب السؤال رقم : (10045) ، (100105) أن التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم كان معمولاً به في عهد الصحابة رضي الله عنهم .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى هو الشافي وحده ، وأن الشفاء إنما يكون بتقديره سبحانه ، وما الطبيب والعلاج والدواء إلا أسباب نصبها الله لحصول الشفاء بإذنه .

فروى البخاري (5675) ، ومسلم (2191) عن عائشة رضي الله عنها: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ ، قَالَ : (أَذْهَبَ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ ، أَشْفَى وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا) " .
وروى البخاري (5742) عن عبد العزيز بن صهيب قال : " دَخَلْتُ أَنَا وَتَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَقَالَ تَابِتٌ : يَا أَبَا حَمَزَةَ ، اشْتَكَيْتُ ، فَقَالَ أَنَسٌ : أَلَا أُرْقِيكَ بِرُقِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : (اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، مُذْهِبَ الْبَاسِ ، أَشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا) .

فقوله (أنت الشافي) ، وقوله (لا شافي إلا أنت) يدل على أن أحدا لا يشفي أحدا إنما الشفاء بيد الله وحده ، قال القاري رحمه الله :

" قَالَ الطَّيِّبِيُّ : قَوْلُهُ : (لَا شِفَاءَ) خَرَجَ مَخْرَجَ الْحَصْرِ تَأْكِيدًا لِقَوْلِهِ : (أَنْتَ الشَّافِي) ؛ لِأَنَّ خَبَرَ الْمُبْتَدَأِ إِذَا كَانَ مُعْرَفًا بِاللَّامِ أَفَادَ الْحَصْرَ ؛ لِأَنَّ تَدْبِيرَ الطَّيِّبِيِّ ، وَدَفْعَ الدَّوَاءِ : لَا يَنْجَعُ فِي الْمَرِيضِ إِذَا لَمْ يُقَدِّرِ اللَّهُ الشِّفَاءَ " انتهى من "مرقاة المفاتيح" (3/ 1124) .

وهذا كما جاء عند مسلم (3005) في قصة أصحاب الأخدود في قول : (جَلِيسَ الْمَلِكِ ، وَكَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَاتَى الْغَلَامَ بِهِدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ :

" مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ؟

فَقَالَ الْغَلَامُ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ؛ إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ : دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ؟ فَآمَنَ بِاللَّهِ ، فَشَفَاهُ اللَّهُ ...) الحديث .

فتأمل كيف نفى الغلام الذي كان يشفي الله على يديه من جميع الأدوية ، كيف نفى نسبة الشفاء إلى نفسه ، ونسبه إلى ربه ، وكذلك فعل جليس الملك لما آمن وفقه .

فإنه تعالى وحده هو الشافي ، وقد جعل الشفاء في آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، كما جعلها في العلاجات والأدوية الحسية .

ومثل هذا لا تصح به نسبة الشفاء إلى غير الله تعالى ، بل هذا من الشرك بالله في ربوبيته ؛ وكما لا يقال : إن الطبيب شفى المريض ، بما أجرى الله على يديه من أسباب ؛ فكذا لا يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم شفى المريض بما تفضل الله به

عليه من المعجزات والخصائص ، وخاصة بعد موته ؛ بل هذا - كما قدمنا - من الشرك بالله في ربوبيته .

راجع جواب السؤال رقم : (158714) .